آخر رجال الموهيكان

تأليف
جيمس فينيمور كوبر

ترجمة
مروة عبد الفتاح شحاتة



آخر رجال الموهيكان

جيمس فينيمور كوبر

The Last of the Mohicans

James Fenimore Cooper

الطبعة الأولى ٢٠١٢م
رقم إيداع ٢٠١٢/٢٣٨٠
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٦

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

كوبر، جيمس فينيمور.
آخر رجال الموهيكان/تأليف جيمس فينيمور كوبر.
تدمك: ٤ ٢١ ٥١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨

١–القصص الإنجليزية

أ–العنوان

٨٢٣

رسم الغلاف: إيمان إبراهيم، تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

المحتويات

الفصل الأول

ساحة المعركة

تجري وقائع هذه القصة في العام الثالث من الحرب الأخيرة بين فرنسا وإنجلترا. كانت الدولتان تتنازعان على الأرض التي ستصبح فيما بعد كندا والولايات المتحدة. شُيِّدت الحصون ودارت المعارك للاستحواذ عليها بعد أن فر الفلاحون من ساحات القتال. كانت حربًا ضارية، لا سيما إبان شهور الشتاء الباردة، وكانت الفرحة تغمر الجنود عندما يهل الصيف.

أيقظ صوت قرع طبول الحرب في منتصف الليل الجنود الإنجليز المتعبين والمنهكين بحصن فورت إدوارد. وعلموا على الفور أن القائد الفرنسي، مونتكالم، قادم من أعلى النهر ومعه جيش كبير. أمر القائد الإنجليزي، الجنرال ويب، جنوده الألف والخمس مئة بالتحرك على امتداد النهر عند الفجر لمواجهة الجيش الفرنسي عند حصن فورت ويليام هنري.

مع بزوغ الضوء الأول من الفجر امتطى الجنود خيولهم القوية ومضوا في طريقهم. وسارت من خلفهم عربات كبيرة تحمل الإمدادات، وتستثير الثرى أثناء مرورها.

وبداخل منزل الجنرال ويب، كانت كورا وأليس مونرو — ابنتا الجنرال مونرو الذي كان مسئولًا عن حصن فورت ويليام هنري — تستعدان لرحلتهما إلى حصن فورت ويليام هنري. ووقف بالخارج الرائد دانكن هيوارد يطمئن أن كل شيء جاهز للرحلة، ووقف إلى جواره مرشد من الهنود الحمر يدعى ماجوا.

كان من المحتمل أن تكون الرحلة إلى حصن فورت ويليام محفوفة بالمخاطر، لا سيما مع قدوم مونتكالم للانقضاض على الإنجليز. لذا كانت مهمة دانكن وماجوا إيصال الفتاتين كورا وأليس إلى حصن فورت ويليام هنري بسلام.

وقف دانكن يحكم ربط سروج الخيول، وكان أكثر ما يشغل باله هو سلامة أليس، فقد كان يُكِنّ لابنة الجنرال مونرو الجميلة مشاعر حب قوية، ولا يتمنى أن يراها تتعرض للأذى بأي شكل من الأشكال.

وأثناء تجهيز دانكن وماجوا للخيول اقترب رجل طويل ونحيف منهما. كان يرتدي قبعة كبيرة ويحمل صافرة صغيرة.

قال الرجل لدانكن: «يا له من حصان جميل، رأيت الكثير من هذا النوع في نيو هافن. إنه رائع المنظر، أليس كذلك؟»

رمقه دانكن بنظرة غريبة واستأنف استعداداته. وقف الرجل الغريب برهة في انتظار إجابة، لكن عندما لم يجدها مضى في طريقه.

بعد مرور بضع دقائق انفتح باب الكابينة وخرجت الشقيقتان. كانت أليس الصغرى جذابة للغاية. كانت شقراء وعيناها زرقاوين، وغاية في الجمال. ساعدها دانكن وهي تمتطي حصانها. ابتسم لها ابتسامة رقيقة، ثم احمرت وجنتاه قليلًا عندما شكرته على مساعدته لها.

ثم استدار إلى كورا وساعدها على امتطاء حصانها. خرج الجنرال ويب لوداعهم، فأومأ الثلاثة برءوسهم مودعين، ثم مضوا في طريقهم.

وما إن خرج دانكن والفتاتان من المعسكر حتى تجاوزهم ماجوا ممتطيًا حصانه بسرعة. فزعت أليس من سرعته وصاحت: «يا إلهي!».

حدقت كورا بعينيها المتقدتين أمامها مباشرة دون أن تشعر بالذعر؛ بل جذبت في هدوء وشاحها للأسفل ليغطي شعرها البني الداكن وعينيها البنيتين الداكنتين أيضًا.

الفصل الثاني

الرحلة

ضحكت أليس من ذعرها، وقالت لدانكن: «ظننت للحظة أنه شبح! عليّ أن أتحلى بالشجاعة أكثر كابنة أصيلة لعائلة مونرو، ما دمنا سنصطدم بمونتكالم.»

قال دانكن: «ماجوا يعرف طريقه حول بحيرة ليك جورج. إذا كنا سنعود إلى حصن فورت ويليام هنري بأمان، فهو من سيدلنا على الطريق. ولن تكون هناك فرصة لمواجهة مونتكالم.»

سألته أليس: «هل تعرف ماجوا جيدًا؟ أعني، هل تثق به؟»

أجاب دانكن: «أعرفه جيدًا، وأثق به بالفعل. يقال إنه من أبرع المرشدين من الهنود الحمر. وانتهى به الحال في معسكرنا بالمصادفة إلى حد ما، لكنني لا أعرف قصة انضمامه إلى معسكرنا بالكامل. أعتقد أن أباك كان طرفًا في ذلك الأمر. وفي النهاية يكفي أنه صديقنا.»

سألته أليس: «أعتقد أنني لن أخشاه كثيرًا إذا سمعته يتحدث، هل من الممكن أن تتحدث معه يا دانكن؟»

أجاب دانكن: «إنه قليل الكلام، لكنه يعلم الطريق؛ لا داعي للخوف. انظري، لقد توقف.»

بالفعل توقف ماجوا أمامهم، ثم أشار إلى أيكة بجانب الطريق العسكري وقال: «هذا هو الطريق.» كان ممرًّا مليئًا بالأشجار والأجمات الكثيفة.

سألت أليس: «ما رأيك يا كورا؟ أليس من الآمن أن نسلك الطريق الذي سلكه الجنود هذا الصباح؟ أم ينبغي لنا عدم التمسك بذلك الطريق؟»

لكن كورا أجابت: «إذا وصل الفرنسيون إلى ذلك الطريق فسنكون في خطر. لعله من الأفضل أن نسلك الطريق الذي أشار إليه ماجوا، بحيث يبقى سفرنا سرًّا، فآخر ما نتمناه أن تقع ابنتا جنرال إنجليزي في أسر الفرنسيين!»

ثم ركلت حصانها بكعب حذائها وجذبت اللجام وسارت بين الشجيرات خلف ماجوا، ثم تبعتها أليس ثم دانكن.

كان الطريق وعرًا، وساروا دون أن ينطق أحد بكلمة واحدة. وفجأة سمعوا صوت حصان يتقدم نحوهم فتوقفوا. ثم رأوا رجلًا طويل القامة يركب فوق مهر صغير. كان هو الرجل نفسه الذي حاول أن يكلم دانكن وماجوا بالحصن!

صاح دانكن: «أنت لست رسولًا، أرجو أن تكون حسن النية.»

قال الرجل: «سمعت أنكم متجهون نحو حصن فورت ويليام هنري، وأنا أيضًا في طريقي إلى هناك وفكرت في أن نذهب معًا. يمكنكم أن تستفيدوا من صحبتي.»

قال دانكن: «لم تسألنا هل نحن بحاجة إلى صحبتك من الأساس أم لا!»

قال الرجل: «لقد فكرت في ذلك كثيرًا، ووجدت أنكم بحاجة إلى صحبتي بالفعل.»

قال دانكن ببرود: «الطريق إلى البحيرة في الاتجاه الآخر.»

قال الرجل: «أجل أعلم ذلك الطريق إلى الحصن، لكنني سمعت أن الجنود خرجوا هذا الصباح، ولا أريد الاصطدام بالفرنسيين، وأعلم أن لديك الهدف ذاته، ويبدو أنك تعرف طريقًا سريًّا، لذا ها أنا ذا أسير معكم.»

لم يعلم دانكن هل يضحك أم يستسلم لغضبه المتزايد، وسأل الرجل: «من أنت؟ ما اسمك؟»

أجاب الرجل بفخر: «أنا أستاذ في فن الغناء، واسمي ديفيد جاموت.»

قال دانكن: «لا أظن أننا بحاجة إلى سماع أغانيك. لا بد أن نسير في هدوء لـ ...»

قاطعته أليس: «بربك يا دانكن، لا تغضب. دعه يأتِ معنا.»

نظر دانكن إلى أليس لبرهة، ثم رضخ لرغبتها في النهاية، فهو لا يستطيع أن يرفض طلب شخص عزيز جدًّا على قلبه. أثناء مواصلة المجموعة سيرها في الطريق بدأت كورا ودانكن يتحدثان عن الوقت الذي يمكن أن يستغرقوه للوصول إلى الحصن، بينما سألت أليس ديفيد في أدب عن عمله. وعلى الفور، بدأ معلم الموسيقى في الغناء بأعلى صوته.

قال دانكن: «سيكون من الأفضل إن التزمنا الهدوء ونحن نشق طريقنا في الغابة. معذرة يا أليس، أعلم أنك تستمتعين بسماع الأغنية، لكن هذا سيعرضنا للخطر.»

أجابته أليس: «لكنها أغنية جميلة للغاية!»

قال: «لا يهمني سوى سلامتك أنت وكورا. من فضلك يا سيدي لا بد أن تتوقف عن الغناء.»

الفصل الثالث

هوكاي وآخر رجال الموهيكان

على بعد بضعة أميال من دانكن ورفاقه، جلس رجلان يتحدثان بجانب نهير صغير في أعماق الغابة. أحدهما كان رجلًا قوي البنية أسود الشعر، يجلس فوق زند خشب مغطى بالطحالب. كان اسمه هوكاي ويرتدي قميص صيد أخضر داكنًا بالي اللون وحذاء رماديًّا بدون كعب، ويحمل في حزامه سكين صيد حادة، وإلى جواره بندقية مرتكزة إلى شجرة بجانبه.

كان هوكاي وتشينجاتشجوك، زعيم قبيلة الموهيكان، مستغرقين في حديث عن السرعة التي يتغير بها العالم من حولهما. قال تشينجاتشجوك: «ابني أنكس هو آخر سلالتنا، فهو آخر رجال الموهيكان. عندما يموت ستنتهي معه قبيلتنا.»

في تلك اللحظة، مر محارب شاب من بينهما وجلس بجانب تشينجاتشجوك.

قال أنكس: «ها أنا ذا، فيم تتحدثان؟»

أجابه تشينجاتشجوك: «كنت أتحدث أنا وهوكاي عن الماضي والمستقبل.»

اقترب المحارب الشاب من الأرض وأصغى ثم قال: «أسمع صوت أقدام خيول.»

اقترح هوكاي: «ربما كانت الذئاب.»

أجاب أنكس: «كلا، إنهم قومك — الإنجليز — قادمون من الحصن. لا بد أن تذهب وتتحدث معهم.»

قال هوكاي: «كنت لأذهب لو أنني سمعت أي شيء!» ثم ابتسم وأردف: «لكنني لا أسمع أي صوت على الإطلاق!»

أشار له أنكس كي يصمت. وسمعوا صوت تحطم غصن جاف.

همس هوكاي: «إنهم هناك، حسبت خطأً أنه صوت الشلالات. أستطيع سماعهم الآن. ليت أفراد قبيلة الهيرون لا يسمعونهم. يجب أن أذهب وأحذرهم أن الغابة ليست آمنة.»

لكن قبل أن ينطلق هوكاي ليبحث عن راكبي الخيول، ظهر دانكن والفتاتان أمامه.

سأل هوكاي: «من أنتم؟ وماذا تفعلون في هذا الجزء من الغابة؟»

قال دانكن: «أنا جندي مسئول عن إيصال هاتين الفتاتين إلى حصن فورت ويليام هنري. أمضينا معظم اليوم في السفر.»

سأله هوكاي: «هل ضللتم الطريق؟»

قال دانكن: «أعتقد ذلك، هل تدري كم نبعد عن الحصن؟»

ضحك هوكاي، ثم صمت، خشية أن يسمعه أفراد قبيلة الهيرون: «أنت تسير في الاتجاه الخاطئ. حري بك أن تذهب إلى حصن فورت إدوارد، حيث يوجد الجيش، وتتحدث مع الجنرال ويب، فهو المسئول هناك.»

اقترب ديفيد منهم وقال: «لقد غادرنا حصن فورت إدوارد هذا الصباح. كم نبعد عن حصن فورت ويليام هنري؟»

أجابه هوكاي: «لا بد أنك فقدت بصرك قبل أن تضل الطريق؛ فهناك طريق يأخذك مباشرة إلى حصن فورت ويليام هنري.»

أجابه دانكن: «إنه طريق رائع، لكن كي نبتعد عن الفرنسيين ونكون في أمان استأجرنا مرشدًا من الهنود الحمر، يدعى ماجوا، ليدلنا على طريق مختلف، والآن ضللنا الطريق.»

نظر هوكاي إلى دانكن وقال: «مرشدًا من الهنود الحمر، وضللتم الطريق في الغابة؟ يبدو هذا غريبًا. هل هو من قبيلة الموهاك؟»

أجاب دانكن: «أظن أنه من الشمال. لعله من قبيلة الهيرون؟»

عندئذ نهض تشينجاتشجوك وأنكس ووقفا إلى جوار هوكاي. قال هوكاي: «يبدو أنه كان لا ينبغي لكم الوثوق في ذلك المرشد.»

قال دانكن: «كلا، لا تكن سخيفًا. إنه صديقنا، وأنا أثق به. والآن أخبرنا كم نبعد عن حصن فورت ويليام هنري؟ سنكافئك جيدًا إذا أرشدتنا إلى هناك. أنا الرائد دانكن هيوارد، وهاتان ابنتا الجنرال مونرو، تحاولان الوصول إلى مقر قيادة أبيهما.» وأشار إلى كورا وأليس، اللتين كانتا تنتظرانه بصبر.

بدا هوكاي مندهشًا: «أجل سمعت أن جماعة من الجند ستغادر هذا الصباح متجهة إلى حصن فورت ويليام هنري. أنا المرشد هوكاي؛ يبدو لي من الغريب أن يتركّكم مرشدكم.»

قال دانكن: «أعتقد أنه سبقنا بمسافة طويلة.»

قال هوكاي: «يبعد حصن فورت ويليام هنري مسافة ساعة سيرًا بالخيل، سأدلك على الطريق، لكنها رحلة شاقة لا تتحملها النساء.»

لم تسمعه كورا وأليس، وإلا لاحتجتا على قوله بشدة. لكن دانكن أخبر هوكاي أنه على الرغم من أنهم يشعرون بالتعب فبإمكانهم السير لساعة أخرى. ثم همس إليه: «بدأت أشك في أن مرشدنا كان يتعمد تضليلنا، لذا جعلته يسبقنا. وأنا الآن مقتنع أنه لن يعود.»

قال هوكاي: «انتظروا هنا. سنعثر عليه سريعًا، وعلى الحقيقة.» ثم تنحى جانبًا ليتحدث مع تشينجاتشجوك وأنكس، وانطلق ثلاثتهم في الغابة.

الفصل الرابع

مخبأ سري

انتظر دانكن مع الفتاتين وديفيد لدقيقة، لكنه قرر بعد ذلك أنه ينبغي له المساعدة في البحث عن المرشد الغائب، ماجوا.

قال دانكن: «كورا وأليس، ستكونان بأمان هنا مع ديفيد. سأذهب للعثور على هوكاي وأرى ما يحدث.»

قالت أليس: «يا إلهي، هل تظن حقًّا أن ماجوا تخلى عنا؟»

أجاب دانكن: «كل شيء سيكون على ما يرام يا عزيزتي. تعلمين أنني لن أسمح بوقوع مكروه لك أو لشقيقتك.»

ابتسمت أليس، وقالت كورا: «سنكون بخير. نحن قويتان، فنحن ابنتا مونرو! حظًّا سعيدًا!»

لم يسر دانكن بحصانه سوى مئة ياردة حتى وجد هوكاي وتشنجاتشجوك وأنكس. كان ثلاثتهم واقفين يتباحثون في أمر ما.

سألهم دانكن: «ماذا حدث؟»

أجابه هوكاي: «لقد فر منا.»

قال دانكن: «حسنًا، لنذهب! يمكننا أن نعثر عليه. نحن أربعة وهو واحد.»

قال هوكاي: «أجل، لكن من السهل أن يستدعي الآخرين ليحاربوا معه. علينا أن نتحرك كي لا يعثر علينا بسهولة.»

نظر دانكن لأعلى ورأى السحب تنجلي، وبدأ الليل يرخي سدوله. أراد دانكن أن يجذب انتباه هوكاي، لكن هوكاي كان يتحدث مع تشينجاتشجوك وأنكس بلغة الديلاوير؛ لغة شعبهم. بدأ الرجال الثلاثة في الابتعاد.

قال دانكن: «انتظروا! أين ستذهبون؟»

توقف الرجال وتحدثوا بعضهم مع بعض مرة أخرى. وبعد بضع دقائق استدار هوكاي إلى دانكن وقال له: «أنكس على حق، لا يمكننا أن نتركك تائهًا في الغابة تحت رحمة مرشدك.»

قال دانكن: «لقد أخبرتكم بالفعل أننا سندفع لكم ما تريدون.»

نظر هوكاي إليه وقال: «نحن لا نريد مالك، سنساعدك لأن هذا ما ينبغي فعله. لكن عليك أن تعدنا بشيئين.»

قال دانكن: «أجل، بالطبع.»

قال هوكاي: «أولًا: عليك أن تكون صامتًا كالحجر ولا تتدخل فيما يحدث. ثانيًا: عليك أن تحفظ سر المكان الذي سنأخذك إليه.»

أومأ دانكن برأسه موافقة وقال: «حسنًا، لنذهب؛ لم يبق أمامنا متسع كبير من الوقت قبل أن تغرب الشمس تمامًا.»

عاد الرجال الأربعة إلى المكان الذي ينتظر فيه ديفيد وأليس وكورا. أخبرهم دانكن سريعًا ما حدث للمرشد ماجوا، ثم ساعد الفتاتين على النزول من فوق الحصان. شرح لهما أن ماجوا خانهم وأنه قد يحاول إلحاق الأذى بهم، وأن عليهم الذهاب مع هؤلاء الرجال؛ أنكس وتشينجاتشجوك وهوكاي.

وثقت كورا وأليس في رأي دانكن ومضتا معه، وتبعهم ديفيد. وقابلوا هوكاي وأنكس وتشينجاتشجوك بجانب حافة النهر.

قال هوكاي: «علينا إطلاق سراح الخيول؛ فإذا رآها ماجوا ورجاله تأكل الأعشاب عند ضفاف النهر سيفترضون أنك نصبت مخيمًا بالقرب منها. فرصتنا الوحيدة للهرب هي السير على الأقدام.»

قبضت الفتاتان إحداهما على يد الأخرى لإخفاء شعورهما بالخوف، في حين تفحص دانكن المنطقة المحيطة بعناية. وخلع هوكاي ألجمة الخيول وأطلق سراحها. ثم بدأ يسير مبتعدًا، وتبعته المجموعة الصغيرة.

وبعد أن قطعوا مسافة قصيرة من الوادي الصغير المنعزل ساروا أسفل شلال وخرجوا من الجهة الأخرى. وكشف هوكاي الغطاء عن زورقين مختفيين وسط الشجيرات، وأشار إلى كورا وأليس لتركبا أحدهما، وانضم إليهما. وركب دانكن وديفيد وتشينجاتشجوك وأنكس في الزورق الآخر. وأثناء تجديفهم، أصغى هوكاي لكل صوت يصدر من الغابة.

بدأ جريان المياه يتسارع، وخافت أليس وكورا أن تصطدما بالصخور، لكن هوكاي وتشينجاتشجوك وأنكس كانوا بارعين في التجديف. وسرعان ما وصلت المجموعة إلى جزء صخري من النهر وأوقف هوكاي الزورق.

قال هوكاي للمسافرين: «انتظروا هنا، سنذهب لنتأكد أننا في أمان.»

ترك هوكاي وتشينجاتشجوك وأنكس باقي الأفراد فوق الصخور. ولم يمر وقت طويل قبل أن يعودوا.

قال هوكاي: «هلموا الآن.» ثم خبأ الزورقين تحت بعض الشجيرات، واختفى بين الصخور.